المدينة الجزائرية بين الترييف والتمدن

ميلود فروج

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

الملخص:

يتناول هذا المقال ظاهرة ترييف المدن، هذه الظاهرة التي واكبت عملية التطور السريع للمدن الكبرى في الدول النامية بالذات وقد تركت آثارها السلبية على المجتمع الحضري، وإذا كان هذا الأخير يتجه في تطوره الطبيعي نحو التمدن باعتباره الهدف؛ بعيدا عن مفهوم التحضر في الانتقال من الريف إلى المدينة وما يترتب على ذلك من تغير في خصائص السكان الريفيين، حيث ينطوي مفهوم التحضر على أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية توافق وعملية الانتقال أو تتبعها، وإذا كانت عملية التحضر نقيض لعملية الترييف التي حولت صورة المدن ومكوناتها إلى مجتمعات ريفية قروية بكل تقاليدها وعاداتها وسلوكياتها.

الكلمات المفتاحية: المدينة، ترييف المدن، التمدن، المدينة في الجزائر، تأثيرات الترييف في المدينة، إستراتيجية تطوير وتنمية المدن.

Résumé

Ce papier traite de la question de la “ruralisation” des villes, phénomène qui a accompagné l’urbanisation rapide dans les pays en développement et qui a engendré des impacts négatifs dans les sociétés urbaines, dans le sens où cette dernière tend dans son évolution naturelle vers “l’urbanité”, en tant qu’objectif. Loin du concept de “civilisation” dans la transition de la campagne vers la ville, et tout ce que cela doit comporter comme modifications dans les caractéristiques des populations rurales. Dans la mesure où le concept de “civilisation” inclut des dimensions économiques, sociales et culturelles, qui accompagnent le mouvement de la transition ou la suivent. Mais l’urbanisation a plutôt transformé l’image de la ville et ses composantes en des sociétés rurales villageoises, avec leurs traditions, coutumes et comportements.

Mots Clé: Ville, urbanistaion, ville en algérie, stratégie de developeure.

Abstract:

This study is about the ‘ruralisation’ issue. This phenomenon that accompanied this rapid development process of the big cities in developing countries had negative impacts on the urban population. In fact, this purposeful transition towards the urbanization of society led to a modification in the characteristics of rural citizens.

Away from the concept of civilization from the countryside to a city, including the rural populations own characteristics, and in an opposition to the concept of urbanization in terms of economic, social and cultural dimensions levels, the rural community has transformed the big town (cities) into rural areas regardless to the urban populations life styles (traditions, customs and behaviors).

Key Words: city, ‘Ruralisation’ of the cities, Urbanization, the city in Algeria, impact, strategy for development.

المقدمة :

تزخر المدن بمختلف مظاهر التحضر والتمدن وتعدد مجالات الحياة؛ ووسائل المواصلات المريحة كما تتوفر فيها المرافق العامة والخدمات حيث تكون الحياة فيها مطلبا لكل إنسان.

طبعا تزايدت الحركة الحضرية وأصبحت المدن تحتل الصدارة فقد ظهرت المدن الجديدة بأحجامها المختلفة وبوتيرة نموها السريع ليس فقط عل مستوى الهياكل

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

القديمة المعمارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية بما في ذلك الهياكل الإقليمية مما ساعد على النزوح والهجرة نحو المدن، ويرجع ذلك الاندفاع الشديد نحو التجمعات الحضرية من أجل البحث عن حياة أفضل يجدها المهاجرون في المدن، وهذا يرجع إلى مدى تمسكهم بأن الحياة الحضرية البيئة التي أثرت فيهم بمظاهرها بشكل قوي وحاسم في تثبيت إقامتهم في المدينة بصفة دائمة.

والملاحظ أن هؤلاء المهاجرين يحملون معهم أمتعتهم وبعض أدواتها التي عملوا على استعمالها حتى بعض الحيوانات الأليفة التي عملوا على تربيتها والانتفاع بها فيعملون بذلك على زيادة ظاهرة ترييف المدينة. لاسيما أنهم يقصدون الأحياء المتخلفة ليعيشوا فيها لتدني ثمنها أو ينزلون ضيوفا عند الأقارب.

ولذلك فإن هؤلاء النازحين يجدون صعوبة كبيرة في سرعة تكييفهم مع الأنماط الحضرية كما يشهدون صراعا عنيفا في حياتهم الاجتماعية مما يزيد من تعميق الثقافات الفرعية.

تعريف المدينة:

تتميز المدينة في مظهرها العمراني المألوف عن القرية سواء من ناحية شكلها الخارجي، أو وظائفها أو نموها، أو تطورها. ومن الصعب وضع تعريف محدد لمصطلح المدينة، فمن العلماء من اعتبر المدينة امتداد للقرية ومنهم من عرف المدينة على ضوء عدد السكان، حيث اتفقت الهيئات الدولية على أن أي مكان يعيش فيه 20 ألف نسمة أو أكثر يعتبر حضر.

وهناك من العلماء من تصور المدينة على أنها مجتمع محلي يتميز بمجموعة مركبة من السمات التي يمكن إدراكها، وتتميز بوجود مجموعة من الناس الذين لا يعرفون بعضهم البعض (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 2005، ص.7-5).

ومما سبق يمكن أن نعرف المدينة بأنها تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة، تعيش على قطعة أرض محدودة نسبيًا، وتنتشر فيها تأثيرات الحياة الحضرية المدينة، ويعمل أهلها في الصناعة أو التجارة أو كليها معا، كما تمتاز بالتخصص وتعدد الوظائف السياسية

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

والاجتماعية وبهذا تعتبر المدينة ظاهرة اجتماعية (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 2012، ص.59-57).

ترييف المدن:

غالبا ما ترتبط قضية التحضر ونموه وخاصة في المدن، بالطفرات الاقتصادية والتطورات السياسية ونوعية الخدمات وكثافتها لأن ذلك من شأنه العمل على زيادة جذب العمال من خارج محيط المدينة وتجعل المدينة بحد ذاتها منفتحة على الريف وقد تطول مسافة في أعماق المجتمع الكبير.

الترييف هو ظاهرة اجتماعية مرتبطة بانتقال الجماعات المهاجرة إلى المدينة من خلال القيام بممارسات غير حضرية بعادات وتقاليد اجتماعية وقيم ثقافية ريفية، مما يجعلهم لا يتكيفون بسهولة مع النمط والأسلوب الحياتي الاجتماعي الجديد في المدينة، فالقيم الثقافية الريفية التي تأتي بها الجماعات المهاجرة يجب النظر إليها من زاوية تكوين الشخصية ومدى تأثيرها في تشكل محددات الشخصية في النهاية، وتترك دائما نوافذ مفتوحة لتغير العلاقات وأنماط السلوك داخل المجتمع المدني، فهذه التغيرات تمتد إلى مستوى شبكة العلاقات الاجتماعية بين الجماعات المهاجرة إلى المدن وتعمل من ثم على المحافظة عليها ومع تزايد تدافع الكم العددي من المهاجرين، كما تبينه العديد من الإحصائيات، بحيث تطفو على السطح هذه القيم والسلوكيات وتصبح المدينة غير قادرة على التحكم والتأثير في الأوضاع (عبد الحميد بوقصاص، 2004، ص.210-209).

التمدن:

مفهوم التمدن مرادف لكلمة التحضر وهو يشير إلى عملية اجتماعية تتم بانتقال أهل الريف والبادية إلى المدن، أو تحول المناطق الريفية ذاتها إلى المدينة وتؤثر هذه العملية تأثرا كبيرا في التركيب الاجتماعي والاقتصادي والمهني للسكان إذ ينخفض عدد سكان الريف ويرتفع عدد سكان المدن، ويتضمن التمدن تغيرات أساسية في تفكير الناس وسلوكهم وقيمهم الاجتماعية كما يتضمن تغيرات في الاتجاهات نحو العمل وخاصة في المهن.

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

وأخيرا فإن التمدن يمكن أن يوصف بأنه العملية التي يكون بها التمدن أسلوبا مميزا للحياة، وهذه العملية قد تتأثر ببعض المؤثرات الجديدة بالنسبة للشخص المتبنى للنمط المعيشي الجديد، والتمدن في الواقع هو نوع من التكيف أو التلاؤم مع الحياة المجتمعية بدلا من الحياة الجماعية، وللتمدن مظهران؛ أولهما الانتقال من حياة الريف إلى حياة المدينة أو الحياة الحضرية وتتغير طبقا لذلك المهنة والمستوى المعيشي، وثانيها هو تبني الشخص القادم من الريف إلى المدينة أسلوب وسلوك الحياة الحضرية (لوجلي صالح الزوي، 2002، ص.30-29).

أولا / المدينة في الجزائر:

نبذة تاريخية حول تطور المدينة في الجزائر وعوامل نموها:

إن تاريخ التعمير في الجزائر لا يمكن فصله بحال من الأحوال عن تاريخ حضارة البحر الأبيض المتوسط، كما لا يمكن فصله عن تاريخ المغرب العربي الكبير، إلا أن تطور النسيج العمراني عبر كامل بلاد المغرب التي تعرف نفس المسار التاريخي.

فقد عرفت الجزائر أنماطا حضرية متعددة كالنمط القرطاجي والروماني والبيزنطي، وبالإضافة إلى القرى والمدن البربرية وصولا إلى المدن العربية الإسلامية (بشير التجاني، 2000، ص.93).

أما خلال المرحلة الاستعمارية 1962-1830م فقد عملت فرنسا على طمس معالم العمارة الإسلامية وسلخ الهوية الجزائرية، وذلك من خلال السيطرة التامة على الأحياء الشعبية، كما فرضت عناصرها الهندسية على النسيج الحضري وحتى في عمليات الترميم، وذلك بإدخال الطابع الهندسي الغربي.

وأما بعد الاستقلال لقد شهدت الجزائر تطورا سريعا للمجتمعات السكانية في نهاية الفترة الاستعمارية تجاوبا مع الزيادة المطردة للهجرة الريفية نحو المدن، ومن خلال مشروع قسنطينة استفاد الإقليم من عدة أحياء تم إنشاؤها على أطراف المدن الصغيرة والكبيرة، وبهذا التطور التاريخي للمدينة في الجزائر فإن مدننا جمعت بين الأصالة

والمعاصرة في هندسة البناء في الجزائر (فريدة سلطاني، 1988، ص.97).

من أهم عوامل النمو السريع للمدينة الجزائرية:

النزوح الريفي (الهجرة الداخلية):

النـــزوح الريفي ظاهرة اجتماعية قديمة حيث شـــهدت غالبية المـــدن في العالم نموا حضريا بطيئا أو سريعا، في حقبة من الزمن اشتد الضغط على المدن الكبرى بفعل عواملها الجذابة حيث باتت غير قادرة على استيعاب كل الجماعات المتدفقة إليها وأصبحت غير قادرة على تلبية الحاجات الضرورية من مسكن وتجهيزات جماعية، وقد أوضح إسحاق القطب في كتابه «التحضر ونمو المدن العربية» إن الهجرة ليست دائما ظاهرة غير صحية وتحدث على العموم نتيجة لمجموعتين من القوى:

أ- القوى الطاردة من الأرياف وهي:

- الأوضاع الاقتصادية الصعبة وظاهرة البطالة.
- تدني الخدمات الاجتماعية في الريف كالصحة والتعليم.
- قلة فرص العمل غير الزراعية.

ب- القوى الجاذبة من الأرياف: وهي:

- الارتفاع النسبي لمستويات الأجور في المناطق الحضرية.
- توفير فرص العمل في المدن كانعكاس لبرامج التنمية والتطور العمراني
- توفر الخدمات كفرص التعليم في المعاهد العليا والجامعات وتوفر الرعاية الاجتماعية.
- المركزية الشـــديدة المميزة للمدن مثل الإدارات والوزارات والأسواق (عبد الحميد دليمي، 2007، ص.129-127).

ولقد اشـــتدت هذه الظاهرة في الجزائر ابتداء من 1948 التي بلغ فيها ســـكان المدن حوالي المليونين نســـمة، وقبل هذا التاريخ بقليل لم تتجاوز نسبة المدن إلى سكان الريف

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

٪22، فارتفعت النسبة إلى ما يقارب ٪30 سنة 1930، ثم ارتفاع عدد سكان المدن في الستينات إلى 2950000 نسمة وسكان الريف إلى 695000 نسمة، ومدينة الجزائر العاصمة التي كان عدد سكانها في الأربعينات من القرن العشرين لا يتجاوز النصف مليون، حيث أصبح سكان العاصمة في 2001 يفوق ثلاثة ملايين نسمة.

وفي الأخير نعرض هنا باختصار المراحل التي مرت بها الهجرة الريفية كما يلي:

- المرحلة الأولى (1954–1968): تضاعف عدد سكان المدن بسبب تدمير الريف واعتباره منطقة محرمة من طرف الاستعمار الفرنسي.
- المرحلة الثانية (1962–1970): وشهدت نزوحا ريفيا كبيرا جلب تمركز الأنشطة الاقتصادية في المدن وتحسن الأوضاع الاجتماعية والصحية فيها.
- المرحلة الثالثة (1970–إلى يومنا هذا): ازدادت عملية النزوح الريفي وخاصة خلال العشرية السوداء (1988–1998). حيث تدهورت الأوضاع الأمنية وشهدت البلاد مظاهر العنف والتخريب مما أدى إلى تضخم المدن ولجوء عدد كبير من سكان القرى إليها، إلى أن تحسنت الأوضاع الأمنية فمنهم من عاد إلى الريف ومنهم من استقر بالمدينة نهائيا مما أبقى على كثافتها السكانية الهائلة حيث نجمت عنها أزمة السكن، الاكتظاظ السكاني، والأحياء المتخلفة (مشنان فوزي، 2009، ص.20–19).

الأحياء المتخلفة:

عرفت الجزائر ظاهرة الأحياء المتخلفة منذ القدم وذلك بسبب توفر عدة عوامل ساعدت على ذلك، فهي خضعت للاستعمار مدة طويلة، وقد اتخذ سياسة الأرض المحروقة وكان هدفه تفقير الأرض والإنسان على حد سواء، وقد استولى على الأراضي الخصبة، وبذلك فقد سكان الجزائر أهم مصدر رزق لهم، إضافة إلى سياسة التقتيل والتعذيب وتدمير القرى والمداشر كان له الأثر الكبير في نمو هذه الظاهرة في الجزائر، وكانت الأحياء المتخلفة هي البديل على الرغم من خلوها من أدنى شروط الحياة، وتكاثرت بذلك الأحياء المتخلفة بالمدن الجزائرية، مما أدى إلى أزمة اختناق حاد خاصة في المدن الكبرى كالجزائر العاصمة، وهران، قسنطينة، عنابة، سطيف، باتنة، وتلمسان.

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

وهذا الذي دعا المختصين للاهتمام بهذه الظاهرة التي أصبحت تشكل خطرا على الحياة الاجتماعية داخل المدن الجزائرية وأدت هذه الظاهرة كذلك إلى ظهور أشـــكال عمرانية تشـــوه صورة المدينة الحضرية زيادة على ذلك ظهور آفات اجتماعية خطيرة وأثرت هذه المشاكل على السكان وخاصة الشباب من جميع النواحي النفسية والصحية والاجتماعية، كما أن الأحياء المتخلفة قد تسببت في ارتفاع إيجار المساكن وذلك بسبب تدهور ظروف مســـاكنها وعدم ملاءمتها للحيـــاة الكريمة الأمر الذي دفع الكثير إلى تأجير مســـاكن أحسن حالا من هذه حتى ولو كانت باهظة الثمن.

وهكـــذا فإن ظاهرة الأحياء المتخلفة في الجزائر في تناقص، وهذا راجع إلى سياســـة الدولـــة المنتهجة وخاصة اتجاه المدن الكبرى في تطويـــر النمو الفني والمعماري الهندسي والحفاظ على الطابع الأصيل لبعض الأحياء القديمة (مشنان، 2009، ص.28-27).

البناء الفوضوي:

شـــهدت الجزائر أســـوة بالدول النامية تحول كافة المجالات خاصة منها التغيرات الاجتماعية التي شـــملت أســـلوب الحياة ومختلـــف حاجيات المجتمـــع، هذا التحول وتداعياته حمل آثار جانبية كان لها تأثير مباشر على البيئة الســـكنية والبيئة العامة المحيطة بالمدينة، ومع تزايد احتياجات الأفراد إلى الســـكن سرعـــان ما تتحول أحياء المدينة إلى مناطق متخلفة ذات كثافة سكانية عالية ومستوى صحي متدني.

ويشـــكل البناء الفوضوي عاملا مســـاعدا في تلـــوث البيئة، الذي يمتـــد امتدادا أخطبوطيا في المدن، حيث تبنى المساكن على أراضي غير مخططة، لا تخضع لأي إشراف أو توجيه فتتداخل اســـتعمالات الأراضي وتنشـــأ تجمعات ســـكنية متناثرة تشوه جمال الطبيعـــة خارج المدن أين يلاحظ انعدام المرافق والخدمات لمخالفتها للشروط القانونية والهندســـية للبناء، ولقد ترتب على هـــذا كله، أن اختفت من بعض المدن المســـاحات الخضراء والميادين وضاقت الشوارع بالمشاة والسيارات وازدحمت وسائل النقل بشكل رهيب (طويل، 2004، ص.91-90).

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

وبهذا أصبحت المدن الجزائرية تحتاج إلى الذوق الفني المعماري وذلك بسبب تشوه المباني وانتشار المناطق المتخلفة وغياب المساحات الخضراء، وغياب التنظيم والتنسيق بين عناصر الموقع بالبيئة المحيطة بمدننا وهذا ما يعرف بالتلوث البصري (طويل، 2004، ص.90).

ثانيا: تأثيرات ظاهرة ترييف المدن:

يجمع السوسيولوجيون والخبراء على أن المدن باتت تتخبط في مستنقع لا متناهي عنوانه الأكبر لغة التريف وسط ديكور فوضوي تتمازج فيه أكوام من السلبيات والممارسات العشوائية التي لا تمت بصلة للسياسيات الحضرية، وعلى وقع تتلاطم فيه أمواج من البنايات غير المتناسقة والمفرغات العشوائية وطرق أقرب إلى الممرات الغابية، ما يعكس استقالة الفكر الحضري في المدينة.

الوضع العام للمدينة الجزائرية (مورفولوجية المدينة):

في ضوء هذا الوضع نجد أن المدينة الجزائرية لازالت تعيش الصراعات المرتبطة بالفقر والصحة والسكن، الأمر الذي أنتج خللا في التماسك الاجتماعي وأدى إلى فوضى في توزيع السكان على المجال، وزاد من حدة الانحراف وظهور بعض المشاكل والآفات الاجتماعية المختلفة كالعنف والاجرام وجميع هذه العوامل دفعت السكان إلى الانعزال وعجزوا عن التكيف والتغير السريع في شتى مجالات الحياة، هذا التغير السريع له نتائجه النفسية الجماعية التي يمكن أن تنقلب إلى داء خطير، إن لم يقوى الإنسان الجزائري على ضبط مسيرته نحو الاندماج ومواكبة هذا التغير، وهكذا تعتبر ظاهرة ترييف المدن ظاهرة خطيرة في المجتمع وآثارها وخيمة (قيرة وأخرون، 2008، ص.112).

الترييف ظاهرة تلازم نمو المدن في أغلب الدول النامية:

وصف بعض علماء الاجتماع ظاهرة الترييف أزمة حضرية، إذ يركز البعض الآخر على تأثيرات الريف على الحياة في المدينة ومما لاشك فيه أن هذه التأثيرات أخذت أبعاد

خطيرة تنبئ بمزيد من التردي والتدهور لحياة المدينة ونتج عن هذا عدة مشكلات منها:

- القصور الواضح في المرافق والخدمات الأساسية.
- انهيار البيئة الفيزيقية وترديها (فسادها، وسوء استعمالها وتراكم الأوساخ).
- ظهور سلوكيات غير حضارية مثل الاستعمال والاستهلاك اللاعقلاني.
- الشعور بالاغتراب وفقدان المعايير وانعدام الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية.
- مشكلات عدم فعالية السياسة، وفشل الجهاز الحكومي والإداري (قيرة وأخرون، 2008، ص.36 – 37).

سوء تخطيط المدن:

المدينـــة كمفهوم تفتقر إلى التنظيـــم الإداري والتنموي والســـياسي، وكلها عوامل محفزة على التمسك بالنمط الريفي المتجسد في العلاقات التقليدية بين الأفراد، وممارسة النشاطات الريفية، كما يشـــير الباحث في علم الاجتماع الأستاذ بومخلوف إلى أن ظهور الطابـــع الحضري لا يكون في جيل واحد، وإنـــما يمتد إلى عدة أجيال، لأن الوصول إلى النمط الحضري يتطلب التغيير في الثقافة المجتمعية بصفة عامة، وأن السياسة الحضرية تتطلب فلسفة واضحة المعالم من أجل تقليص المشاكل والصور السلبية للمدينة، وهذا كله راجع إلى تراكم بعض المشـــاكل الخاصة بالمدينة، فحين تعمل سياســـة الدولة على التخطيط الجيد للمدن خاصة منها الجديدة وتقوم بتشـــجيع وتدعيم مشـــاريع السكن الريفي وتقديم مساعدات للفلاحين وتوفر لهم كل الإمكانات الضرورية من أجل كبح ظاهرة الهجرة إلى المدن (قيرة وآخرون، 2008، ص.63–62).

الآثار الاجتماعية:

يحمل المهاجرون من الريـــف إلى المدينة الكثير من القيم الريفية معهم، وإذا ما كانت هناك هوة ثقافية بين المنطقة الطاردة والمنطقة المستقبلة، فقد يحدث صراع بين الثقافتين، ولكن الواقع أن المهاجر في موقف لا يسمح بفرض ثقافته، ولهذا نجده يتبنى الأنماط الثقافية الحضرية بأســـلوب فيه نوع من الحياء في كثير من الأحيان،

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

وإذا ما تجاوزت نسبة الريفيين نسبة سكان المدينة المهاجرين إليها وجدت الفئات المهاجرة التشـــجيع من قيادات المجتمع، كما هو ملاحظ اليوم سيطرة بعض القيم البدوية التي جلبها المهاجرون البدو في المدينة.

وأوضح خبراء علم الاجتماع الحضري أن الانتقال إلى المدينة في المجتمعات الإنسانية يكون عند حصول الأفراد على كل الضروريات والتوق إلى الكماليات، أي أن الانتقال إلى المجتمعات الحضرية وفق التنظير السوســيولوجي يكون عند الحصول على الضروريات ولكن للأسف حملوا معهم مظاهر الترييف في الوسط الحضري بوسائل ريفية.

من مدن الــدول النامية وخاصة الجزائر قــد حملوا الثقافة والســلوكيات والفكر البدوي القديم إلى ثقافة ســكان المدن المتحضرين، ويرجع مراقبون ظاهرة الترييف إلى التوسع العمراني العشــوائي الذي أفقد المدن جماليتها وجعلها أريافا كبيرة تدل على أن تكون مدنا عصرية بمعايير حضارية، ولم يصاحب هذا التوســع الحضري على مستوى الهياكل الاجتماعية والمرافق الجوارية، وهذا راجع لغياب سياسة المدينة (الزوي، 2002، ص.258 – 259).

غياب المساحات الخضراء:

إنّ غياب المســاحات الخضراء أثر ســلبا على جمالية المدينة، والتي تكون أحيانا غير مدرجة ضمن المخططــات العمرانية، فضلا عن كونها قليلة وتفتقر إلى الجانب الجمالي، والأهم من هــذا هو الجانب الأمنــي، إن أهم التهديدات المحيطة بالمدن هي مســألة الاكتظاظ الســكاني، مما جعل بعض المنحرفين يلجؤون إلى المســاحات الخضراء، ومع الزيادة السكانية وإهمال المساحات الخضراء من طرف السلطات المحلية تحولت هي إلى أوكار للفساد كما هو في الكثير من مدن دول العالم الثالث.

انعدام الشعور بالمسؤولية:

المعروف أن أهل المدينــة الأصليين هم الذين يحافظون على جماليــة المدينة وتراثها وهو ما تجسده القصبة العتيقة التي تحولت من بنايات عثمانية أصيلة إلى بيوت قصديرية

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

وسـط ديكور من المزابل بعد أن هجرها سكانها الأصليون، والملاحظ أيضا أن ظاهرة الترييف أثرت على سـلوك السكان وأصبحوا يتصرفون بطريقة تجعل المدينة تتخبط في عدة مشـاكل وخاصة إزاء المناطق الأثرية والمساحات الخضراء، وأصبحت اللامبالاة هي السلوك المسيطر على سكان المدينة.

ومن الممارسـات اليومية لكثير من السـكان هي السـلوكيات الفوضوية للمارة في الطرقات، وهي سـمة من سـمات ترييف المدينة، أي أن النـاس يتنقلون في المدينة بلا ضوابط تحد من حريتهم كون الطريق واحد، وأحيانا كثيرة يزاحمون العربات في الطريق بسـبب ضيق الأرصفة واسـتغلالها في أشـكال التجارة الموازية أو دون سبب واضح (مشنان، 2009، ص.76 – 77).

ثالثا: إستراتيجية تطوير وتنمية المدن:

إنّ فكرة وجود إستراتيجية حضرية إنما هي وسيلة من وسائل تحقيق الهداف القومية التي تهتم بتحسـين ورفع مستوى المعيشـة والعمل والنهوض بالمجتمع. لأن الإنسان يشكل بيئته والبيئة بدورها تشكل الإنسـان، فتتحقق بذلك عملية التنمية التي تشكل أداة لتطوير المجتمعات، حيث عمل المخططون وأصحاب القرار في العديد من الدول إلى محاولة تفادي الأخطاء والمشـكلات الموجودة في المدن الكبرى وذلك بوضع خطط جديدة للمدن.

أ- تخطيط المدن:

إنّ تخطيط المدن هو أقوى الوسائل لتقييم الرأسمال البشري الهزيل اليوم بسبب عدم تكيف البيئات مع الأوضاع الطبيعية للحياة، وبدأت فكرة تخطيط المدن تتبلور بعد نمو وتطور وانتشـار المدن في الغرب منذ منتصف القرن 19 وهذا قصد البحث عن الطرق الناجعة للسيطرة والتحكم في النمو الحضري.

والصعوبات التي واجهت المسـيرين الحضريين خلال فترة تميزت بالكثير من عدم الاسـتقرار بالإضافة إلى المشـاكل توجيه مسـتقبل نمو المدن مما حتـم على الكثير من

حكومات الــدول وخاصة حكومات الدول النامية من وضع مخططات من أجل تنمية حضرية تتماشى مع كثافة ومتطلبات حاجات السكان.

وبالتالي، فــإن التخطيط الحضري يســعى دوما لإنجاز وتحقيــق بعض الأهداف الاجتماعية والاقتصادية التي تتعدى الوجه الطبيعي المرتبط بالأبنية والشوارع والحدائق العامة والأسواق والمساحات الخضراء وكل ما يتطلبه من المكونات الضرورية والحيوية للبيئة الحضرية (دليمي عبد الحميد وآخرون، 2007، ص.60 – 61).

ب- **قواعد تخطيط المدن**: أرسى لويس منفورد قواعد لتخطيط المدن هي:

- ارتــكاز تخطيط المدن عــلى الإدراك الواعي للمتغيرات التي تحــدث داخل الوحدة الحضرية من جهــة، وللإمكانيات والمطالب والاحتــمالات التي يتوقع ظهورها في المستقبل من جهة أخرى.
- قيام تخطيط المدن على معرفة الأهداف المراد تحقيقها.
- يجــب أن تكون وحدة تخطيط المدينة كوحدة كلية بغرض الابتعاد عن النظرة الجزئية في العمل التخطيطي واعتماد قاعدة التكامل أو الشمول.
- الابتعاد عن التخطيط الحضري المشيع بالمثاليات.
- اعتــماد المرونة لمواجهة الحاجات الجديدة وموجــات التغير في الاتجاهات والأفكار والقيم المتتابعة.
- قيام التخطيط على رؤية المدينة باعتبارها بيئة للانفجار السكاني.
- ارتــكاز تخطيط المدن على الإطــار الفيزيقي الطبيعي المادي الــذي نال اهتمام كثير من علماء الإيكولوجيا وذلك باعتبار المدينة فضاء للعمليات الاجتماعية وللنشــاط الاجتماعي وللظواهر والاتجاهات الحضرية (دليمي وآخرون، 2007، ص.61–60).

ج- أهداف التخطيط:

الأهداف هي نقطــة الانطلاق في التخطيط لأنها تحدد الاتجــاه العام للمجهودات الجماعية وتسهيل التنسيق بين الأفراد ومن بين الأهداف الأساسية للتخطيط هي:

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

- تحديد المناطق السكنية والتجارية والصناعية والربط بين أقسام المدينة المختلفة.
- تطوير نسق المدينة وفق مستوى معقول من حيث الحجم والمساحات الخضراء والأماكن الترفيهية.
- تلبية مختلف الخدمات التي يحتاجها أفراد المجتمع الحضري.
- يساعد التخطيط على جمال المدينة عن طريق تنظيم السكنات والعمارات والمحافظة على التراث المعماري.
- يساعد التخطيط على تفادي الكثير من الظواهر السلبية في المدينة وخاصة ظاهرة ترييف المدينة.
- تحقيق نوع من التوازن بين الجوانب المادية في المدينة وبين الجوانب الاجتماعية والأخلاقية والثقافية التي يقوم عليها النسق البنائي الاجتماعي للمدينة.
- يسعى التخطيط إلى إقامة نموذج المدينة متعددة النوى أي المدينة التي تستطيع أن تخدم بكفاءة وبسرعة كل وظائف الوجود الاجتماعي ويتوفر بهذه المدينة نوع من الوحدة داخل إطارها.
- يهدف التخطيط الحضري إلى ربط المدن الفرعية أو المدن التوابع بالمدينة الكبيرة بحيث تصبح هذه المدن مدن للمدينة الأم.
- يهدف التخطيط الحضري إلى إقامة اللبنة المناسبة اجتماعيا ونفسيا وعضويا لمساعدة الكائن الحي على استمرار حياته ككائن أخلاقي.

ومن هنا تتضح لنا أهمية التخطيط في تنمية وتطوير المدن والاستغلال الأمثل في الجانب البشري الذي يعتبر المسؤول الأول عن تمدن وتحضر مدننا وخاصة في عصرنا هذا (قيرة وآخرون، 2008، ص.64 – 65).

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015

قائمة المراجع:

1. بوقصاص عبد الحميد، (2004)، النماذج الريفية الحضرية لمجتمعات العالم الثالث في ضوء المشكل الريفي الحضري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

2. التجاني بشير، (2000)، التحضر والتهيئة العمرانية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

3. دليمي عبد الحميد، (2007)، دراسة في العمران السكن والإسكان، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر.

4. دليمي عبد الحميد وآخرون، (2007)، دراسة لواقع الأحياء القصديرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

5. رشوان حسين عبد الحميد أحمد، (2012)، المدينة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

6. رشوان حسين عبد الحميد أحمد، (2005)، مشكلات المدينة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

7. الزوي لوجلي صالح، (2002)، علم الاجتماع الحضري، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا.

8. سلطاني فريدة، (1988)، مشكلة الإسكان في مدينة قسنطينة، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة غير منشورة.

9. طويل فتيحة، (2004)، السياسة الحضرية ومشكلاتها الاجتماعية، رسالة ماجستير، جامعة بسكرة، غير منشورة.

10. قيرة إسماعيل وآخرون، (2008)، التخطيط والتنمية الحضرية، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.

11. مشنان فوزي، (2009)، البناء الفوضوي ومشكلة التنمية العمرانية، مذكرة ماجستير، جامعة قسنطينة.

© جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2 - 2015